العرب
الإثنين 2021/08/30
السنة 44 العدد 12164



# التدمير أم التعمير: الموروث الثقافي تحت رحمة طالبان

## القلب التاريخي لبلخ مدينة الرومي وابن سينا والفردوسي يترقب مصيره

كل الرسائل المتواصلة من قادة حركة طالبان بشأن تغيرها لا تبعث بإشارة اطمئنان واضحة بشأن سلوك الحركة المتطرفة، خصوصا ما يتعلق بالإرث الثقافي المعماري والتاريخي. فحادثة تدمير تمثال بوذا من قبل طالبان مازالت ماثلة في الأذهان، وقبل أيام دمرت تمثالا لشخصية أفغانية شيعية تحت مسوغات مختلفة، بينما أنظار العالم مازالت شاخصة إلى مصير تماثيل أخرى في مدن أفغانية مختلفة.

ريم تينا غزال
مراسلة سابقة في أفغانستان

"ففي التسامح، كن مثل المحيط المترامي الأطراف..."، قد لا يعرف الكثيرون أن هذه الكلمات التي هي عبارة عن دعوة إلى الترحيب بالتعددية هي في الواقع كلمات أحد الرموز التاريخية في أفغانستان، وهو شاعر القرن الثالث عشر والعالم المسلم جلال الدين الرومي. وقد ادعت تركيا وإيران وحتى دول مختلفة من العالم العربي نسبة الرومي إليها، ولكن يُعتقد أنه ولد عام 1207 في مدينة بلخ، الواقعة شمال ما يعرف اليوم بأفغانستان.

وسيكون من المثير للاهتمام رؤية كيف ستتصرف طالبان مع ميراث الرومي والرموز الثقافية الأخرى التي ازدهرت في الماضي على الأرض التي تسمى اليوم أفغانستان. وإذا لم يُثر ذلك الموروث الأفغاني إعجاب حركة طالبان فما الذي يمكن عمله لحمايته من بطش الحركة.

ولا توجد إشارات مبشرة في الوقت الراهن، فبعد فترة وجيزة من الانقضاض على كابول أعلنت طالبان أنها قد تغيرت وتريد السلام، كما أعلن قادة الحركة "العفو" عن كل من عمل ضدهم في السابق، وقالوا إنهم مستعدون للتعاون، حتى مع "أخواتنا"، ثم بعد ذلك بقليل قاموا بنسف أحد التماثيل.

فهل دمروا ذلك التمثال لأنهم اعتقدوا أنه يُروج لعبادة الأوثان، أم لأنه كان يصور أحد أعدائهم، أم لأن صاحب ذلك التمثال كان رجلاً شيعياً، أم لكل ما سبق؟ يستحيل الجزم، لكن من المحتمل أن تمثال عبدالعلي مزاري -بطل أقلية الهزارة العرقية الأفغانية الذي أعدمته حركة طالبان عام -1995 قد لبى كل تلك الخيارات.

وبالطبع، لم تكن لتمثال مزاري قيمة ثقافية أو فنية عظيمة، بل إن تدميره أكسبه شهرة أكثر مما يستحق. لكن الأكثر إثارة للاهتمام أنه كان في مقاطعة باميان التي نسفت حركة طالبان فيها تمثالين ضخمين لبوذا يرجعان إلى 1500 عام، وكانا منحوتين في سفح الجبل، وكان ذلك في عام 2001، ولا يزال تفجير تلك التماثيل بالديناميت هو أكبر عمل تدمير متعمد للثقافة في التاريخ الحديث.

تمثال بوذا تحفة تاريخية أقدمت طالبان على تفجيره

### حال التماثيل

إذاً، هل يعد تدمير تمثال مزاري إشارة إلى ما سيكون عليه حال البلد في المستقبل القريب؟ وبعد انتهاء القتال ضد "الآخرين" -أي القوات الأجنبية التي احتلت أفغانستان- هل سيتحول القتال الآن إلى الجبهة الداخلية ضد "الآخرين"، أي ضد المشهد التاريخي والديني والاجتماعي الأفغاني؟

وهناك الكثير والكثير ممن يمكن لحركة طالبان اعتبارهم "الآخرين" في البلاد.

وتتمتع أفغانستان بتراث وتاريخ مفعم بالثراء، وبمجموعة متنوعة من الهويات التي طغت عليها الحروب والصراعات. ومن أفغانستان انتشرت البوذية إلى الصين، كما ازدهرت فيها الديانة الزرادشتية والمسيحية واليهودية والهندوسية قبل وبعد وصول الإسلام إليها في القرن السابع. وباعتبارها محطة رئيسية على طرق التجارة التي تعود إلى آلاف السنين والتي تربط الهند بإيران والصين، فإن أفغانستان مليئة بآثار المدن القديمة والأديرة واستراحات القوافل التي استضافت مسافرين مشهورين مثل الرحالة المغربي ابن بطوطة في القرن الرابع عشر، وماركو بولو من مدينة البندقية في القرن الثالث عشر.

وتنتشر القطع الأثرية القديمة في مختلف أنحاء البلد، وتوجد حالياً حوالي ثمانين ألف قطعة آثار في المتحف الوطني، ودمرت طالبان عددا من تلك القطع الأثرية في المتحف، في المرة الأولى التي اعتلت فيها كرسي السلطة. لكن في فبراير من هذا العام منع قادتها بيع القطع الأثرية، وطلبوا من أتباعهم "حماية الآثار ومراقبتها والحفاظ عليها بكل ما أوتوا من قوة"، كما أوقفوا عمليات الحفر غير القانونية، وبدأوا في توفير الحماية لـ"جميع المواقع التاريخية".

وسنرى ما إذا كانت تلك التعليمات الحازمة ستؤتي أكلها، وهل سيحمون القلب التاريخي لمدينة هرات؟ وهو موجود حاليا على قائمة مؤقتة لمواقع اليونسكو للتراث، وقد استولى الإسكندر الأكبر على مدينة هرات عام 330 قبل الميلاد خلال حملته ضد الأخمينيين، وتلك المدينة أصبحت في ما بعد موقعًا رئيسيًا للإمبراطورية الهلنستية السلوقية.

ثم هناك مدينة بلخ التي أنجبت الرومي وابن سينا، المعروف في الغرب باسم أفنيسينا، والشاعر أبا قاسم الفردوسي، وكلاهما يرجع إلى نهاية الألفية الأولى. وقد يكون اسم مدينة بلخ معروفا باسم مدينة باكتريا خاصة لأولئك الذين يترددون على المتاحف الغربية، وذلك الاسم يرمز إلى الحضارة القديمة التي يعود تاريخها إلى أوائل الألفية الثالثة قبل الميلاد، من السلوقيين إلى الساسانيين إلى الكثير غيرهم. وتجذر تاريخ الحضارة في أرض بلخ والعديد من المدن الأخرى في جميع أنحاء أفغانستان، وموقع مثل ميس عينك يُعد موطنًا لمجمع يضم ما لا يقل عن سبعة أديرة بوذية تُخفي تحتها هياكل من العصر البرونزي.

تمثال بوذا مهدد من جديد

ومن المغري الاعتقاد بأن طالبان قد تغيرت، ولمَ لا، فقد تغير العالم برمته. ونريد تصديق أن الحركة سوف تلتزم بتعهدها بعدم إلحاق الضرر بالتراث التاريخي والثقافي للبلد. وتكمن المشكلة في أن طالبان ملتزمة بالنأي بنفسها بعيدا عن "سموم الحداثة"، ومنتسبوها بعيدون كل البعد عن مجريات العصر الحديث، ولا يرغبون في اللحاق بركبه، ولا يرون أي قيمة للموروث الثقافي والتاريخي والإنساني التي تحتضنه بلدهم، ولا يرون قيمة إلا في رؤيتهم حول كيفية العيش في الماضي الغابر.

ولكن قد يكون هناك ضوء في آخر النفق؛ فحركة طالبان تستهجن تعاطي المخدرات، ولكن ليس لديها أي غضاضة في استخدامها من قبل الآخرين، وفي عام 2000 حظرت الحركة زراعة الخشخاش مثلما حظرت اليوم المتاجرة بالقطع الأثرية التاريخية.

لكن حظر الخشخاش تبخر في نهاية المطاف، واليوم تسيطر طالبان على أكبر مصدر في العالم للمواد الأفيونية غير المشروعة التي تمثل 80 في المئة من سوق الأفيون والهيروين العالمية، والتي حققت حصادا قياسيا في عام 2017 بمبيعات تعادل سبعة في المئة من الناتج المحلي الإجمالي لأفغانستان.

### أسئلة تنتظر أجوبة

والسؤال المحير هو ما إذا كان يمكن حث طالبان على حماية الموروث الأفغاني من خلال دفع أموال لها نظير ذلك، وقد لا ترى الحركة أي فائدة أو قيمة في تمثال لامرأة من مدينة باكتريا، على سبيل المثال. لكن هل يمكن إقناعها بالحفاظ على ذلك التمثال إذا كان الحفاظ عليه سيُدر عليها بعض الأموال؟ وهل يمكن إنشاء صندوق ائتماني دولي لهذا الغرض؟ وربما لحفظ القطع الأثرية خارج أفغانستان أيضاً؟ وإذا فرضنا تحقق ذلك، فحتى متى؟

وتتبادر إلى الذهن الكثير من الأسئلة، بما في ذلك المعضلة الأخلاقية المتمثلة في تفضيل سلامة الموروث الثقافي على سلامة البشر. ومع ذلك، فمن المؤكد أن ضمان سلامة الموروث الثقافي شيء يستحق العناء وبذل الكثير من الجهد، لكن السؤال هل ستشارك حركة طالبان في ذلك المجهود؟

* سنديكيشن بيورو

# تركيا وباكستان أكبر الرابحين في أفغانستان

## إسلام أباد تنصح الغرب: اعملوا مع طالبان أو استعدوا للرعب

لندن - يتم تداول قائمة الخاسرين في أفغانستان منذ هروب الرئيس أشرف غني واجتياح طالبان العاصمة كابول؛ تبدأ القائمة من الشعب الأفغاني ولا تنتهي بالكرامة المهدورة للغطرسة الأميركية المنسحبة بطريقة الهزيمة، بينما لا أحد يركز على قائمة الرابحين وكأن طالبان وحدها من تلقت جائزة عودتها إلى الحكم.

وتبدو باكستان أحد أكبر الرابحين من عودة طالبان إلى الحكم، وبعدها بدرجة ثانية تأتي تركيا التي لم تتوقف عن التنسيق مع إسلام أباد ليكون لها دور في مستقبل البلاد الغامض تحت حكم طالبان.

ولعبت باكستان منذ الحادي عشر من سبتمبر "لعبة مزدوجة" تتمثل في الادعاء بأنها متحالفة مع الغرب، وتتلقى مساعدات كبيرة جراء ذلك، وفي الوقت نفسه تمنح طالبان موطنا وربما أكثر.

ولا تخفي إسلام أباد سعادتها برؤية طالبان ثانية في السلطة، فهي التي ساعدت في إنشائها ومنحتها منذ فترة طويلة ملاذا ضد القوات الغربية، إلا أنها تستعد أيضا لموجة جديدة من اللاجئين مع انتهاء رحلات الإجلاء.

ولا تزال باكستان موطنا لثلاثة ملايين لاجئ أفغاني منذ الثمانينات، لأولئك الفارين من الاحتلال السوفييتي.

ويقود مستشار الأمن القومي الباكستاني مؤيد يوسف حملة علاقات عامة من قبل حكومة عمران خان لجعل العالم يتعرف على طالبان ويبدأ العمل معها، محذرا من أنهم بخلاف ذلك لن يواجهوا أزمة إنسانية ضخمة فحسب بل سيدفعون نظام طالبان الجديد إلى سلوك أكثر تطرفا والسماح بدخول الإرهابيين الأجانب.

وقال السير ريتشارد ديرلوف -الرئيس السابق لجهاز الاستخبارات البريطاني- لصحيفة صنداي تايمز إن بريطانيا يجب أن تطرح "أسئلة صعبة" على الحكومة الباكستانية حول تورط استخباراتها العسكرية في انتصار طالبان.

وأضاف "يجب أن يكون هناك فهم معين أن طالبان لا يمكن أن تنجح مثل ذلك دون دعم باكستاني".

أما تركيا فقد حصلت على الضوء الأخضر من الغرب للإشراف على إعادة تشغيل مطار كابول، وتلقت رسائل أميركية وأوروبية داعمة لذلك.

وصاغ المتحدثون باسم طالبان تصريحاتهم حول تركيا بعناية، وشجعوا الاستثمارات والمساعدة على إعادة الإعمار. لكنهم أصروا على مغادرة جميع القوات الأجنبية، بما في ذلك القوات التركية، وهو ما أزعج الرئيس التركي رجب طيب أردوغان لأنه يريد بلدا جديدا تنتشر فيه قواته بعد ليبيا وسوريا والعراق وقبرص وقطر والصومال وأذربيجان.

ولم تكن تركيا في وضع يسمح لها بفرض شروط على طالبان أيضا، لذلك اتبعت دبلوماسية التقرب والتودد بعد قرار الولايات المتحدة الخروج قبل تشكيل حكومة انتقالية.

ولكن السؤال هو: هل يمثل إجلاء القوات التركية نهاية المبادرة التركية بشأن الأزمة في أفغانستان؟ الجواب: لا.

وبدلاً من ذلك ستأخذ الحكومة التركية مشاركتها مع أفغانستان إلى مستوى مختلف، وها هو أردوغان يحاول استمالة طالبان بوسائل ومداخل متعددة، ولا يخفي أن تركيا كانت وسوف تبقى متحمسة لإدارة مطار العاصمة الأفغانية.

لا تزال أنقرة تحاول دس أنفها في تشكيل حكومة انتقالية بشتى الوسائل ومنها استغلال التنسيق مع كل من باكستان وقطر القريبتين من طالبان، وجنبا إلى جنب مع طالبان وأصحاب المصلحة الأفغان الآخرين، وتروج تركيا مواقف إيجابية وأنها تعمل على تقديم مساهمة دبلوماسية وسياسية واقتصادية للأفغان.

ويتفق أغلب المحللين السياسيين على نجاح تركيا في لعب ورقة الهجرة غير النظامية من أفغانستان والتي يمكن أن تتيح لتركيا الدخول في محادثات مكثفة وممارسة ضغوط على جهات عدة ومنها طالبان وإيران وباكستان والاتحاد الأوروبي.

وسبق أن نقل أردوغان رسالة مباشرة إلى المجتمع الدولي بالقول إن تركيا لا تستطيع تحمل عبء طالبي اللجوء الإضافيين؛ بمعنى أنه يريد امتيازات وأموالا، وتلك حقيقة لكن الإعلام الرسمي التركي اتهم وسائل الإعلام الأوروبية بأنها بدأت بالفعل في الادعاء بأن أردوغان سيستخدم اللاجئين الأفغان لابتزاز الاتحاد الأوروبي.

وتمثل سياسة تركيا القائمة على "التفاؤل الحذر" عملية ديناميكية، سيتم تحديد مسارها بشكل أساسي من خلال خيارات طالبان.

وطلبت حركة طالبان من أنقرة مساعدة شعب أفغانستان؛ ومع ذلك رأت أنقرة أن هذا الطريق محفوف بالمخاطر، فأردوغان يريد ضمانات واستثمارات وتواجدا عسكريا ومخابراتيا على الأرض.

وأكد الرئيس التركي على أن هدف بلاده هو تعافي أفغانستان من مشاكلها في أسرع وقت ممكن، وأن أنقرة مستعدة لتقديم كافة أنواع الدعم لتحقيق ذلك.

في غضون ذلك بحث وزير الخارجية التركي مولود جاويش أوغلو مع نظيره الأميركي أنتوني بلينكن آخر المستجدات في أفغانستان.

مؤيد يوسف

المشاركة الدولية في تشكيل حكومة تبقي طالبان معتدلة

وذكرت مصادر في وزارة الخارجية التركية أن مباحثات جاويش أوغلو وبلينكن جاءت خلال اتصال هاتفي، دون المزيد من التفاصيل.

وأضافت المصادر أن الوزير التركي أجرى اتصالا منفصلا مع نظيره الفنلندي بيكا هافيستو، وبحثا مستجدات أفغانستان.

وتعول تركيا كثيرا على تحالفها مع باكستان في فتح خطوط مستقرة لقواتها ضمن عملية إعادة تشكيل مطار حامد كرزاي في العاصمة الأفغانية.

وفي الوقت نفسه تعمل باكستان على إعادة تأهيل طالبان وتقديمها للغرب في نسخة مختلفة كليا عن طالبان قبل عشرين عاما.

وطالب مؤيد يوسف مستشار الأمن القومي الباكستاني الغرب بالاعتراف على الفور بنظام طالبان أو المجازفة "بارتكاب نفس الأخطاء التي أدت إلى هجمات الحادي عشر من سبتمبر".

ونقلت صحيفة صنداي تايمز البريطانية عن يوسف قوله "سجلوا كلامي. إذا ارتُكبت أخطاء التسعينات مرة أخرى وتم التخلي عن أفغانستان، فستكون النتيجة واحدة تماما؛ فراغ أمني تملأه عناصر غير مرغوب فيها ستهدد الجميع، باكستان والغرب".

وأضاف "قلنا للغرب مرارا وتكرارا إن هذه حرب لا يمكن الانتصار فيها. لو استمعوا لباكستان لما كانوا في هذا الوضع".

وشدد على أن الأفغان إخوة للباكستانيين "وقد كنا كرماء معهم من قبل ونريد أن نبقى كذلك".

وقال "لكننا نشعر بأننا قد تُركنا للتعامل مع الفوضى في الجوار مرة أخرى وهي ليست فوضى من صنعنا؛ إنها (من صنع) المجتمع الدولي الذي كان متواجدا طوال الأعوام العشرين الماضية، إنها مسؤوليته".

واعتبر أن الغرب كان يرسل إشارة خاطئة عن طريق إخلاء كابول فقط من أولئك الذين عملوا مع القوات أو المنظمات الغربية. وقال إنه ليس من الواضح ما إذا كان الأمر يتعلق فقط بإجلاء "أولئك المحظوظين ليرتبطوا بالمشروع الغربي أم أن الغرب يهتم أيضا بالأفغاني العادي".

وقال "المشاركة هي الطريقة الوحيدة؛ المشاركة اليوم وليس بعد أسبوعين أو ثلاثة أسابيع من الآن. لفعل ماذا؟

عودة محفوفة بالمخاطر